نزهة الانام في محاسن الشام

تأليف ابي البقآء عبدالله بن محمد البدري المصري الدمشقي طبع في المطبعة السلفية بمصر على نفقة ناشره السيد نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد سنة ١٣٤١ هـ . ص ٣٩٢

يود الدمشقيُّ بالطبع ان يقرأ ، ويسمع شيئاً عن هذه المدينة الغنآء وهي منبت اسلتهِ وعاصمة قطرهِ ومقر حكومته ولا سيما ما كان قديماً ليتسنى لهُ المقابلة بين حالتيها الغابرة والحاضرة وتقدير ما بينهما من اسباب الصعود والنزول وموجبات الرقيّ والانحطاط .

فلا بدع اذنْ اذا قلت انني تلوت هذا الكتاب بلذةٍ وارتياح فانه يبحث عن احوال دمشق في عصر مؤلفه وهو كما قال عنه ناشر الكتاب ومهديه من رجال القرن التاسع للهجرة . وقد ذكر تاريخ ولادته (سنة ٨٤٧ هـ) ولم يذكر تاريخ وفاته

وهذا المؤلف كاقرانه من علماء ذلك الزمان مولع بالكلام المقفى وان لم يكن من قبيل السجع الخالي من الكلفة والتعسف . ويغلب عليه الميل الى الشعر نظماً ورواية . فاذا كتب في التاريخ كتب غير متحققٍ ولا مستقصٍ . واذا كتب عن مشاهدة عيانية اجاد في الوصف وافاد . واقام على مشاهداته البينات وعززها بالروايات . من الشعر المولد والحديث . ولهُ من المؤلفات غير هذا الكتاب تاريخ « تبصرة اولي الابصار » و « سحر العيون » و « ديوان شعر مشهور »

استهل المؤلف كتابه بمقدمة اوضح فيها — سجعاً وشعراً — مزايا دمشق الطبيعية وبعد ان اورد ما جآء في وصف محاسنها من الاحاديث النبوية واقوال الاقطاب والاولياآء ذكر سبب تسميتها بالشام وعلله تعليلاً يردُّه الثقاة المحققون في هذا العصر . ثم قال عن بانيها انهُ (دمشقش) غلام الاسكندر صاحب السدّ . بناها بأمر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخدومهِ وكانت قبلهُ وادياً فيه غيضة ارز فنزل في موضع قرية (يلدا) اليوم وقطع الغيضة وجلب لها من حوران تراباً لردم حفرها واختطها بعد ان سماهـا باسمه وجعل لها ثلاثة ابواب — باب جيرون وباب البريد وباب الفراديس — ثم بنى كنيسةً لعبادة الله هي موضع الجامع الاموي . ثم قال بعد ذلك ان الذي بنى باب جيرون سليمان عليه السلام تكفلت لهُ ببنائهِ الشياطين وكان اسم الباني جيرون فسمي الباب باسمهِ . وفي كل ذلك موضع نظرٍ للناقد البصير

ثم ذكر ابواب البلد في عهده فقال عن (الباب الصغير) انهُ سمي كذلك لانهُ اصغر ابوابها وعليه نزل يزيد بن ابي سفيان وقت الحصار ومنهُ دخل يوم الفتح . وقال عن (باب كيسان) وهو شرقي الباب الصغير انهُ سمّي بكيسان مولى معاوية لنزوله عليه وهو الآن مسدود . وعن (الباب الشرقي) انهُ سمّي كذلك لانهُ شرقي البلد وعليه نزل خالد بن الوليد ومنهُ دخل عنوةً يوم الفتح . ثم قال عن (باب توما) انهُ باسم احد عظماء الروم ولهُ فوقهُ كنيسة (١)

ثم بعد ان ذكر (باب الجنيق) وقال هو باب الفراديس سمي باسم محلة الجنيق . ذكر (باب الجابية) ونسبهُ الى قرية بهذا الاسم في ناحية الجولان . واشار الى (باب السلام) وقال ان بانيهُ نورالدين زنكي الشهيد

ثم قال اول من بنى (قلعة دمشق) آتسز بن آوق ولما جدَّد بناءها الملك العادل ابو بكر سدَّ باب العمارة . ثم ذكر (باب الجديد) وقال هو من محدثات الاتراك في دولتهم . وقد صحَّفه العوام بباب الحديد . وهو في سوق الاساكنة(٢) على ما رواهُ ابن عساكر

ثم اتى على ذكر (الجامع الاموي) بكلامٍ طويل لا يحتمله المقام قال في عرضه .

---

(١) وهو غير ما يرويه المؤرخون عن هذا الباب الذي سمي بعد الفتح بباب توما لا قبلهُ لان توما هذا صهر امبراطور الروم كان متولياً قيادة الجيش الروماني في الدفاع عن المدينة من جهة هذا الباب اثناء مهاجمة العرب لها ولبث مدافعاً عنهُ حتى قلعت عينهُ (٢) سوق البوابجية اليوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان هوداً عليه السلام هو باني جدرانه الاربعة . وكان هود قبل ابراهيم الخليل (عم) بزمان طويل . وقال ان (برزة) سميت بهذا الاسم لان سيدنا ابراهيم قاتل فيها قوماً وظفر بهم . وبهِ سميت عند بروزهِ للقتال وكان متعبَّدهُ في سفح الجبل الذي يجاورها

ثم تكلم عن بناء الجامع الاموي على عهد الوليد بن عبدالملك كلاماً قال من جملتهِ انهُ اشتغل فيه اثنا عشر الف عامل لترصيفه بالمرمر (الرخام) وان امرأة اسرائيلية تبرعت لتسقيفهِ بالقناطير المقنطره من الرصاص — ولم يكن عند غيرها منهُ — وقد بذل لها الخليفة بزنتهِ فضةً فلم تقبل وان اللوحين اللذين في الغار الكائن في الجامع مع الستة شبابيك كانا في عرش بلقيس

ثم اتى على ذكر ما في المدينة اذ ذاك من اسواقٍ ومرافق ومبانٍ وما في ضواحيها الغنآء وغوطتها الفيحآء من رياضٍ وغياضٍ وانهارٍ واثمار وبقول ومقاصف (١) مما افردنا لاجله فصلاً خاصاً سنثبته في هذه المجلة على حدةٍ في الجزء الآتي ليقابل القرآء بين حالتها الحاضرة وما كانت عليه في ذلك العهد . ثم اتى على ذكر (الصالحية) فقال ما نصُّهُ بالحرف :

« ومن محاسن الشام (الصالحية) مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتى ان بها قصبة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببنآء جميل استولى عليها المباشرون والنظار . فأزالوا منها العين ولم يبقَ سوى الآثار . فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح . وامست في ظلمة بعد تلك المصابيح . فهذه تقول اصبحت مربطاً للبهائم . بعد ما كنت معبداً للقائم والصائم . وهذه تقول اتخذوني مسكناً . وهذه تقول جعلوني متبناً . وهذه تقول هدُّوني واخذوا سقفي وكشفوني . وهذه تقول خربوا جداري وباعوا الباب . وجعلوني مأوى للكلاب . والاوقاف تستغيث الى المولى المغيث . فيقال لها اسمعي كلام الرحمن في محكم القرآن . انَّ الينا ايابهم . ثم ان علينا حسابهم » انتهى

فالظاهر من هذا الكلام ان النهمة الى ابتزاز الاوقاف وابتلاع ما حبس

---

(١) جمع مقصف وهو محل القصف اي الاكل والشرب واللهو والطرب (عامية)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على معاهد الخير والمبرات دأب قديم العهد في رؤوس بعض رجال الشرق فالى الله المشتكى من قبل ومن بعد

والكتاب على ما فيه من حسنات ومساوىء جيد التنسيق جلي الطبع حري بالتلاوة ولا سيما من ناشئة دمشق فنثني على ناشره الاديب أطيب الثناء ونرجو لمكتبته دوام البقاء والنماء

دمشق

سليم عنحوري

عضو في المجمع العلمي العربي

***